

## الفصل الثالث

### الموت فى مفهوم علماء الدين

ويرى علماء الدين أن القرآن الكريم قد تضمن بعض الآيات البينات فى الموت، كما وردت فى هذا الشأن أحاديث لرسول الله ﷺ.

ومما تشير إليه هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة:

– أنه إذا انقضى أجل العبد ونفذ رزقه فى الدنيا، أمر الله عز وجل ملك الموت بقبض روحه فيتوفاه، فقبض الأرواح لا يكون إلا بإذن من الله سبحانه وتعالى – وهذا تفسير قول الله جل وعلا:

﴿.. اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا..﴾ [سورة الزمر].

– أن ملك الموت أعوانا كثيرين من الملائكة يعملون معه ويأتمرون بأمره – وفى هذا الخصوص روى ابن عباس رضى الله عنهما فى خبر الإسراء عن الرسول ﷺ – أنه قال:

(.. مررت على رجل آخر جالس على كرسي، إذا جميع الدنيا ومن فيها بين ركبتيه، وبيده لوح مكتوب ينظر فيه لا يلتفت عنه يمينا ولا شمالا، فقلت يا جبريل من هذا؟ قال: هذا ملك الموت. فقلت يا ملك كيف تقدر على قبض جميع أرواح من فى الأرض برها وبحرها؟ قال: ألا ترى أن الدنيا كلها بين ركبتي وجميع الخلائق بين عيني، ويداي تبلغان المشرق والمغرب. فإذا نفذ أجل عبد نظرت إليه، فإذا نظرت إليه عرف أعوانى من الملائكة أنه مقبوض، وغدوا يعالجون نزع روحه، فإذا بلغوا بالروح الحلقوم علمت ذلك فلم يخف على شيء من أمره، مددت يدي فانزعه من جسده..) القرطبي، التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة – ص ٧٢.

ومما تقدم يتبين لنا أن قبض الروح يكون أولا بواسطة الملائكة أعوان ملك الموت حتى تبلغ الحلقوم، وهذا تفسير قوله سبحانه وتعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿.. حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ..﴾ [سورة الأنعام].

ثم ينزع ملك الموت الروح من الجسد عندما تبلغ الحلقوم، ثم يسلمها إلى أعوانه من الملائكة، إما لملائكة الرحمة إن كان الميت مؤمناً بالله، أو لملائكة العذاب إن كان من الكفار. (ابن كثير: البداية والنهاية ج ١ ص ٥٦).

أنه إذا انقضى أجل العبد المؤمن بالله وجاءته سكرة الموت بالحق، جاءه الشيطان ليفتنه ويخرجه عن عقيدته وإيمانه بوحدانية الله وأحديته - وكان الرسول - ﷺ - يتعوذ من فتنة الموت فيقول:

( اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من عذاب القبر) أخرجه البخارى فى صحيحه ج ٤ .  
فإن كان العبد مزعزع الإيمان ونكص على عقبيه وكفر بالله ووحدانيته كان من أصحاب الشقاء فى الآخرة أما إن كان حسن العمل صادق الإيمان ثبته الله العليم الخبير على دينه لقوله عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة إبراهيم].

يذهب كثير من علماء الدين إلى أنه فيما يتعلق باستقبال الميت عند الاحتضار - فإن ملك الموت يأتيه ومعه أربعة من الملائكة ولكنه لا يرى ملك الموت لأنه لا يظهر للمحتضر ويعترضون بحق على أن اسم ملك الموت "عزرائيل" كما هو شائع فمن الثابت أنه لم يرد بالقرآن الكريم ولا بالأحاديث النبوية الشريفة هذا الاسم فأسماء الملائكة التى وردت فيها لا تتعدى جبريل وميكائيل وإسرافيل، ومالك خازن النار. وقد جاء النص القرآنى خالياً من ذكر الاسم فى قوله سبحانه وتعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ يَتُوفَّئِكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة السجدة].

يقول الإمام الغزالي فى كتابه الدرّة الفاخرة، إن جبريل هو الذى يستقبل أرواح المؤمنين، فإذا أراد الله بعبده الهداية جاء ملك الرحمة - وقيل هو جبريل - فيطرد عنه الشياطين ويمسح الشحوب عن وجهه، فيبتسم الميت لا محالة. وكثير من يرى مبتسماً فى هذا المقام فرحاً بالبشير الذى جاءه رحمه من الله سبحانه وتعالى - فيقول يا فلان أما تعرفنى؟ أنا جبريل وهؤلاء أعداؤك من الشياطين. مت على الملة الحنيفة والشريعة الجليلة، فما شئ

أحب إلى الإنسان وأفرح له منه بذلك الملك. أما الملائكة الأربعة فإنهم ينزلون على المحتضر ويجلسون قريباً منه.. ويشاهدهم عياناً ويتحدثون عنده ومعهم الأكلان والحنوط - وهو نوع من الطيب - إما من الجنة وإما من النار. ويؤمنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر. وقد يسلمون على المحتضر ويرد عليهم تارة بإشارته وتارة بقلبه إن لم يستطع النطق أو الإشارة ويؤيد ذلك قول المولى عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿... فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُفْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ... ﴾ [سورة الواقعة].

والمقصود بالريحان أنه ما تتلقى به الملائكة عند الموت.. وذلك ما قاله ابن القيم في كتابه "الروح" وطبقاً لما رواه من قول رسول الله - ﷺ :

(.. إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة ودبر من الدنيا وحضره ملك الموت نزلت عليه من السماء ملائكة معهم كفن من الجنة وحنوط من الجنة. أما من كان في قبل من الدنيا ودبر من الآخرة نزلت عليه من السماء ملائكة معهم كفن من النار وخيوط من نار..).  
ومن بين المستقبلين للميت كذلك عمله في الحياة الدنيا الذي يتمثل له في هيئة رجل.. فقد روى عن الرسول - ﷺ :

(.. إن الميت يأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب. طيب الريح فيقول له: أبحر. فيقول له: من أنت فيقول: أنا عملك الصالح. فإذا كان عمله سيئاً أتاه رجل قبيح المنظر كريه الرائحة، ففعل الإنسان يبدو له في صورة واحد من مستقبليه..) القرطبي في التذكرة.

ويستقبل الميت كذلك من أهله وأقاربه الذين انتقلوا قبله، وقد أكد الإمام الغزالي هذا المعنى في كتابه الدرر الفاخرة، وذلك بقوله:

"ومن الناس من إذا بلغت الحلقة كشف له عن أهله السابقين. وأحدق به جيرانه من الموتى". وقد استفاد هذا المعنى أيضاً بوضوح ما رواه ابن القيم في الروح ص ٢٩ عن حديث الرسول - ﷺ :

(.. إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا. فيقول انظروا أحاكم حتى يستريح فإنه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان.. فإذا سألوه عن رجل مات قبله قال: إنه قد مات قبلي. قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب به إلى أمه الهاوية..).

فأهل الرحمة هؤلاء منهم الملائكة ومنهم الأهل والأصدقاء. بدليل اهتمامهم بشئون الأحياء وسؤالهم عنهم، فمن مات ولم يصل إليهم كان بعيداً عن الزمرة الصالحة. ثم يستقبل الميت بعد ذلك ملكاه اللذين كانا يكتبان أعماله في سؤال القبر.

### أما فيما يتعلق بقبض الروح

ففي هذا الخصوص يروى لنا ابن عباس رضى الله عنهما حديث طويل للرسول ﷺ إذ قال:

(.. والذى نفس محمد بيده ما من نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها من الجنة أو النار، فإذا كان عند ذلك صف له سماطان - أى صغان - من الملائكة ينتظمان ما بين الخافتين - أى ما بين أفق المشرق والمغرب - كأن وجوههم الشمس، فينظر إليهم ما يرى غيرهم، وإن كنتم ترون أنه ينظر إليكم. ومع كل ملك منهم أكفان وحنوط. فإن كان مؤمناً بشروه بالجنة. وقالوا أخرجى أيتها النفس المظمئة إلى رضوان الله ورجته فقد أعد الله لك من الكرامة ما هو خير لك من الدنيا وما فيها، فلا يزالون يبشرونه فهم ألطف به وأرف من الوالدة بولدها، ثم يسلون روحه من تحت كل ظفر ومفصل. يموت الأول فالأول، ويبرد كل عضو الأول فالأول، ويهون عليه وإن كنتم ترونه شديداً حتى تبلغ ذقنه، فلهى أشد كراهية للخروج من الجسد من الولد حين يخرج من الرحم. فيبتدرونها كل ملك منهم أيهم يقبضها فيتولى قبضها ملك.. فيتلقاها بأكفان بيض ثم يحتضنها إليه فلهو أشد لزوماً من المرأة لولدها. ثم يفوح منها ريح أطيب من المسك فيستنشقون ريحاً طيباً ويتباشرون بها ويقولون مرحباً بالريح الطيبة والروح الطيب اللهم صلى عليه روحاً وصلّى على جسد خرجت منه... الخ..). أخرجه مسلم ج ١.

وروى سليمان الفارسي رضى الله عنه قول رسول الله ﷺ:

(.. ارقبوا للميت عند موته ثلاثاً، إن رشح جيبه، وذرفت عيناه، وانتشر منخراده.

فهي رحمة من الله قد نزلت به) رواد ابن بريده - سنن ابن ماجه ج ١.

كما قال ﷺ: (.. المؤمن يموت بعرق الجبين) ابن بريده - سنن ابن ماجه ج ١.

ويقول الإمام الغزالي في "الدرة الفاخرة"..

(.. فإذا دنت منية العبد، وهى الموتة الدنيوية. فحينئذ ينزل عليه فريق من الملائكة،

وهم الذين أتوا لاستقباله. ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى، وملك يجذبها من قدمه

اليسرى، وملك يجذبها من يده اليمنى وملك يجذبها من يده اليسرى.. ولا يزالون يجذبونها من أطراف البنان ورؤوس الأصابع حتى تنسل انسلال القطرة من السماء إن كان مؤمناً أما الكافر فتتسل روحه كالسفود من الصوف المبلول) - والسفود بتشديد وفتح السين وتشديد وضم الفاء - هو عود من حديد ينظم فيه اللحم ليشوى.

وعلى ذلك إذا كان عمل الميت طيباً صالحاً في الحياة الدنيا، أتته الملائكة في هيئة حسنة، ليقرؤوه السلام من رب العباد، وليجذبوا روحه في سهولة ويسر، ويحادثونها بكلام جميل رقيق، مبشرين إياها بالرجوع إلى ربها راضية مرضية وبروح وريحان وجنة نعيم لرضا الرب سبحانه وتعالى عنها... كل ذلك والمحتضر يسمع ويدرك ما يقال سعيد بتلك البشارة.. فإذا بلغت الروح الحلقوم أخذها ملك الموت لتكفن ويصعد بها إلى السماء - وسبحانه من أنزل هذا الكلام:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿... يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٨﴾ فَأَدْخِيلِي فِي عِبْدِي ﴿٩﴾ وَأَدْخِيلِي جَنَّتِي... ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الفجر].

سم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّ الَّذِيكَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴿١﴾ نَتَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٠﴾ مَحْنُ أَوْلِيَائِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة فصلت].

أما إذا كان العبد قد عاش حتى وأتته المنية وهو منغمس في ملذاته وشهوات وخطايا، ناسياً واجباته نحو بارئه مستحلاً أموال وأعراض وحياة العباد بارتكابه الفواحش والآثام من سرقة وزنا وقتل وهو لاه عن ذكر الرحمن ويوم التناد، فذلك ميته غير تلك التي يلقاها الصالحون فهو وأمثاله يأتيهم ملائكة نيمو الوجوه كريهو الرائحة فيبشرون المحتضر بأسوأ ما يبشر به الإنسان، ويقولون لروحه اخرجي أيتها النفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث، وابشري بالحميم والفساق، اخرجي نيمية مقبوحة إلى غضب من الله وسخط. ويأتي ملك الموت فيجلس عند رأس المحتضر، فإذا بلغت الحلقوم تنزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول، ويخرج منها رائحة كريهة كأنتن جيفة وجدت على الأرض.

ويدرك العبد حال الموت ما يدور حوله حتى يعاين الملائكة وتغرغر روحه، وفي حال إدراكه لما يدور حوله فإن توبته تكون مقبولة طبقاً لما قاله الرسول - ﷺ :

(.. إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر..) - ابن ماجة ج ٢ ص ١٤٢٠.

فإذا بدأت الغرغرة لم تقبل توبة البعد وفي هذا يقول الله عز وجل في محكم آياته:  
بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿.. وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ  
أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتُّتُ لَأَنِّي..﴾ [سورة النساء].

هذا ومتى بلغت الروح الحلقوم فإنها تكون قد وصلت إلى آخر مرحلة من مراحل الموت،  
فعند هذه المرحلة يستحيل إعادة الروح إلى الجسد لقوله جل وعلا:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿.. تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ..﴾ [سورة الواقعة].  
ولا يبق إلا أن يقبضها الملك لتخرج من الجسد نهائياً، وهو ما تكرهه النفس الكافرة  
وتأباه بعد أن أيقنت بحقيقة مآلها، فتقاومه بكل ما أوتيت من قوة، ولكن لا مرد لأمر الله.  
وعندئذ لا يقتصر الأمر على دعوة النفس الخبيثة للخروج، ولا حتى نزعها وجذبها، وإنما  
يصل إلى حد ضربها وفي هذا المعنى يقول العلي القدير:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿.. وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا  
أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ عِبْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ  
آيَاتِهِ تَسْكِبُونَ..﴾ [سورة الأنعام].

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿.. وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرِيحُونَ وَجُوهَهُمْ  
وَأَذْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [سورة الأنفال].

والضرب إنما يكون للنفس، أي للجسد الأثيروي وليس للبدن قبل خروج الروح، على  
نحو ما ذهب إليه بعض علمائنا كالطبري والنيسابوري ومن الحديثيين الشيخ محمد متولى  
الشعراوى رحمهم الله جميعاً (نهاية العالم) الشيخ محمد متولى الشعراوى ص ٦٥.  
وفيما يتعلق بخروج النفس من الجسد يذهب أغلب علماء الدين إلى أن خروج النفس  
يكون من الرأس، مستندين إلى قول الله عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿.. كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٦١﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة القيامة].  
والمقصود بذلك النفس، أي إذا بلغت النفس عظام الترقوة، وهى العظام المكتنفة لثغرة  
النحر، فعندئذ تكون النفس على وشك مغادرة البدن فيقول الملائكة لبعضهم ﴿مَنْ رَاقٍ﴾  
أي من الذى يأخذ الروح أو يصطحبها ليصعد بها ويسمو إلى طبقات السماء.

(يراجع فى هذا المعنى الزمخشري ج ٤ ص ٦٦٣ - والطبري ج ٢٩ ص ١٣١)

وهو ما يستفاد منه أن النفس تصعد من الجسم إلى عظام الترقوة. ثم تتابع صعودها إلى الحلقوم، حيث يتم نزعها من البدن.

ويروى ابن ماجة وأيضاً مسلم في صحيحه في حديث مرفوع أن الرسول - ﷺ - دخل على أبي سلمة وهو يحتضر وقد شخص بصره وانفتحت عيناه. فأغمها الرسول - ﷺ - ثم قال: (.. إن الروح إذا قبض تبعه البص).

وفي رواية أخرى قيل (يتبع بصره نفسه) صحيح مسلم ج ٢ ص ٦٣٥.  
ورؤية الشخص نفسه وهي تغادر جسده. دليل على أن الروح "النفس" تغادر الجسم من موضع ما في الرأس، ويؤكد على هذا أيضاً ورود بعض الأحاديث الشريفة التي تشير إلى جلوس ملك الموت عند رأس المتحضر أثناء موته.

واتجه رأى بعض علماء الدين إلى أن للموت آلاماً لا يعلمها إلا من كابدها وسكرات لا يحس بها إلا من عاناها واتجه رأى آخر إلى وجوب التمييز بين موت المؤمن الصالح وموت الكافر العاصي. مستنديين في صحة ذلك إلى حديث الرسول - ﷺ - المذكور بعاليه من رواية ابن عباس حيث قال:

(.. ثم يسلمون روحه من تحت كل ظفر ومفصل، يموت الأول فالأول، ويهون عليه وإن كنتم ترونه شديداً..).

ثم يقول ﷺ في ذات الحديث عن عطف قابض الروح:  
(.. فإن كان مؤمناً بشرود بالجنة وقالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة.. فلا يزالون يبشرونه فهم ألطف به وأرفق من الوالدة بوالدها..).

وروى ابن أبي حاتم عن أبي جعفر أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأنصار وهو يحتضر، فنظر إلى ملك الموت عند رأس الرجل وقال له:  
(.. يا ملك الموت أرفق بصاحبي فإنه مؤمن..).

فقال له ملك الموت: (.. يا محمد طب نفسك وقر عيناً، فإنى بكل مؤمن رقيق..). رواه ابن كثير في البداية والنهاية ج ١ ص ٥٦.

أما الذين أسرفوا على أنفسهم في الحياة الدنيا، واتبعوا هوى النفس واستجابوا لمذاتهم وشهواتها بعيداً عما أمر به الله عز وجل من معروف ونهى به عن منكر ولم يستغفروا أو يتوبوا إليه. فأولئك يموتون ميته تخالف ميته المؤمنين. فقد روى عن عبدالله ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

(.. نفس المؤمن تخرج رشحاً . وأن نفس الكافر تسل كما تسل نفس الحمار..) القرطبي-

التذكرة ص ٣١ .

وقد ذهب رأى آخر إلى أن الأمر لا ينتهى عند ذلك . إذ قد يشدد الله الموت على عبده المؤمن ليكفر به ذنوبه حتى يرجع إلى الله وقد محيت سيئاته وعلت درجته الإيمانية ومنزلته عند المولى عز وجل . كما أن الكافر قد يعوت موتة هينة لينال جزاءه من العذاب . مستندين فى صحة ذلك إلى ما رواه عبدالله بن عمر عن الرسول ﷺ حيث قال :

(.. وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد بها عليه عند الموت ليكفر بها عنه . وإن الكافر

ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزى بها..) القرطبي . التذكرة ص ٣١ .

أى إن الله يعاقب المؤمن على سيئاته فى الدنيا ليحسب حسابها فى الآخرة . وأن الله

سبحانه وتعالى يثيب الكافر على حسناته فى الدنيا حتى لا ينعم بها فى الآخرة .

هذا وقد اتفق علماء الدين أن ميتة الشهيد فى سبيل الله تختلف عن أى ميتة أخرى

لأن الله تبارك وتعالى يرى فى قتال المعتدين على الدين والأرض والمال والعرض من الملحدين

والمشركين والكفار فيه عزة ورفعة للإسلام والمسلمين والإنسانية جمعاء . ولأنه إذا كان الجهاد

فى الإسلام أساساً يرتكز على مبدأ جهاد النفس وإعمار الأرض تحت ظل مبادئ العدل

والإخاء والمساواة فى إطار القضية الإيمانية التى تؤكد على وحدانية الله وأحاديته وما أمر

به من معروف ونهى به عن منكر فى شريعة الغراء فإن ذلك يستوجب بالضرورة الحفاظ

على الأرض والمال والعرض.. والدفاع عنهم بكل ما يمتلك من نفس ومال.. مستندين فى

ذلك إلى قول الله جل وعلا :

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿... كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كَرِهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا

وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ .. ﴾ (سورة

البقرة).

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿... وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْسَدُوا إِنَّ اللَّهَ

لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ .. ﴾ (سورة البقرة).

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿... فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا .. ﴾ (سورة

النساء).

ولقد بين الرسول ﷺ فضل الجهاد في سبيل الله، ووردت في ذلك أحاديث كثيرة من ذلك ما رواه أبو سعيد الخدرى من أن الرسول ﷺ قال له:

(.. يا أبا سعيد من رضى بالله رباً، وبالإسلام ديناً، ومحمد نبياً، وجبت له الجنة..)  
فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها على يا رسول الله ففعل، ثم قال ﷺ:  
(.. وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض..). فقال وما هي يا رسول الله؟ قال ﷺ:

(.. الجهاد في سبيل الله..) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٥٠١.

وقد روى أحمد والترمذى حديثاً مرفوعاً للرسول ﷺ - صححه أيضاً ابن ماجه - عن الأجر العظيم للشهداء إذ قال ﷺ:

(.. إن للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له عند أول دفعة من دمه، ويرى مقعده في الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويجار من عذاب القبر ومن الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، والياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه..) ابن كثير البداية والنهاية مجلد ٨ ج ١٦ ص ٤٥٧.

كما يتفق علماء الدين أن الشهداء يجدون في انتقالهم من الحياة الدنيا للحياة الآخرة متعة لما يصاحب هذا الانتقال من نعيم وسرور، حتى إن الشهيد ليرتجى أن يعود للحياة مرة أخرى ليموت من جديد، وهو ما يدعو إلى الاعتقاد أن الشهيد لا يشعر بألم عند مفارقة الروح للبدن، وإن صح أنه شعر بالآلام بدنية لما قد يكون قد لحقه من جروح وإصابات قبل الانتقال لا تقاس على الإطلاق بما لحق ذلك من متعة بعد الانتقال وفي هذا المعنى يقول الرسول ﷺ:

(.. ما من عبد يموت له عند الله خير، يسره أن يرجع إلى الدنيا، ولو أن له الدنيا وما فيها، إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة، فإنه يسر أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى..) البخارى ج ٤ ص ٢٠.

ومن فضل الشهادة أن الله يكفر بها الذنوب إلا حقوق العباد فعن أبى قتادة أن رجلاً قام فقال لرسول الله ﷺ، أرأيت إن قُتلتُ في سبيل الله أتكفر عنى خطاياى؟ فقال له رسول الله ﷺ:

(.. نعم. إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر..).  
ثم قال رسول الله ﷺ: (.. كيف قلت؟) قال: أرأيت إنى قتلت في سبيل الله أتكفر  
عنى خطاياى؟ فقال رسول الله ﷺ:

(.. نعم. وأنت صابر ومحتسب، مقبل غير مدبر إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام  
قال لى ذلك..) أخرجه مسلم فى صحيحه جـ ٣ ص ١٥٠١.  
وفى هذا المعنى أيضاً أنه لما كان يوم خيبر أقبل بعض أصحاب النبى ﷺ فقالوا: فلان  
شهيد فقال الرسول ﷺ:

(.. كلا إنى رأيته فى النار فى بردة غلها أو عباءة..) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٠٧.  
والغلول أخذ مال الغير بدون وجه حق.  
ويستقبل الشهيد من الملائكة استقبالاً كريماً فور انتقاله. فقد روى أنه لما قتل والد  
جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يوم أحد جعل جابر يبكى ويكشف الثوب عن وجه أبيه،  
فنهاه أصحاب النبى ﷺ ولكن الرسول لم ينهه وقال ﷺ:  
(.. لا تبكيه، أو ما تبكيه مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع..) البخارى جـ  
ص ١٣١.

والشهداء خلافاً لغيرهم من الموتى أو القتلى يظلون أحياء بعد قتلهم، إذ تسكن  
أرواحهم فى أبدان مادية، وصفها الرسول ﷺ بأنها جوف طير أخضر- إذ يقول الله  
سبحانه وتعالى فى شأنهم:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ  
يُرْزَقُونَ﴾ [سورة آل عمران].

ويروى لنا ابن مسعود أنه سأل الرسول ﷺ فى هذه الآية فقال ﷺ:  
(.. أرواحهم فى جوف طير أخضر، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث  
شاءت، ثم تأوى إلى هذه القناديل..) أخرجه مسلم فى صحيحه جـ ٣ ص ١٥٠٢ وابن ماجه  
جـ ٢ ص ٩٣٦.

كما يتفق علماء الدين على أن من يطلب الشهادة بصدق ويسعى لها فإنه يبلغ مراتب  
الشهداء وإن مات على فراشه مستندين فى صحة ذلك إلى ما روى عن الرسول ﷺ قوله:  
(.. من سأل الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه..) أخرجه  
مسلم فى صحيحه.

كما يتفقون على أن الشهادة ليست قاصرة على من يقتلون في سبيل الله، بل يدخل ضمن الشهداء فئات أخرى مستندين في ذلك إلى قول الرسول ﷺ :

(.. الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله..)  
البخارى ج ٤ ص ٢٩. مسلم ج ٣ ص ١٥٢.

كما قال عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أنه سمع قول رسول الله ﷺ :  
(.. من قتل دون ماله فهو شهيد..) أخرجه البخارى في صحيحه. كما روى لنا سعيد بن زيد رضى الله عنه أنه سمع قول رسول الله ﷺ :

(.. من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد..) صححه الترمذى - وأخرجه البخارى في صحيحه ج ٣ ص ١٧٩.

كما يتفق علماء الدين أن هناك علامات تظهر على المحتضر وقت احتضاره قد يستدل منها أنه قد فاز برضوان الله عز وجل ومن هذه العلامات:

(أ) نطق المحتضر بالشهادة عند الاحتضار استناداً إلى ما روى عن الرسول ﷺ أنه قال:  
(من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) رواد القرطبي في التذكرة.

وإلى ما أوصى به الرسول ﷺ من ضرورة تلقين المحتضر الشهادة حيث قال:  
(.. لقنوا موتاكم لا إله إلا الله.... الحليم الكريم، سبحان رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين) قالوا يا رسول الله كيف للأحياء؟ قال: (أجود وأجود) رواد ابن ماجه

ج ١ ص ٤٦٥ وأخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ١٩١٦.

(ب) الموت بعرق الجبين استناداً إلى قوله ﷺ (المؤمن يموت بعرق الجبين) رواه ابن بريدة - سنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٦٧.

(ج) الاستشهاد في سبيل الله لقوله جلا وعلا:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿...وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ (سورة محمد).  
بِالْمَمِّ ﴿...﴾ [سورة محمد].

ويدخل في ذلك من هم في حكم الشهيد كما أسلفنا من قبل.

(ح) حسن الظن بالله عز وجل طبقاً لوصية الرسول ﷺ حيث قال:

(لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله) رواه ابن ماجه ج ١ ص ٤٦٧.

كما روى لنا أنس بن مالك رضى الله عنه أن الرسول ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال ﷺ (كيف تجدك؟) قال: أرجو الله وأخاف ذنوبي. فقال الرسول ﷺ :

(لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الوطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وأمنه مما يخاف)  
رواه ابن ماجة ج ١ ص ٤٦٧ وأخرجه الترمذى.  
( د ) أن تبدو علامات البشر والسرور على وجه المحتضر مما يستشف منه حسن  
الاستقبال.

(هـ) أن يشهد المسلمون له بحسن الخلق استناداً لقوله ﷺ :  
(أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة . فقلنا وثلاثة قال : وثلاثة فقلنا واثنان  
قال : واثنان ثم لم نسأل عن الواحد) صحيح البخارى ج ٢ ص ١٢١ .  
ولقوله صلى الله عليه وسلم أيضاً : (أنتم شهداء الله فى الأرض) ابن ماجة ص ٤٧٨ .  
( و ) العمل الصالح قبل الموت من الدلائل على حسن الخاتمة .  
فقد روى الترمذى وأحمد عن أنس رضى الله عنه قول الرسول ﷺ :  
(.. إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله..“ ) قيل : كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال :  
(يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه..).